في يوم الوطن:

ذكريات من التاريخ

الوطن هوالمكان الذي تطمئن فيه النفس وترتاح فيه الجوارح.

وإذا كنا نحتفل في يوم الوطن بتوطين الملك عبدالعزيز الأمن والأمان واستتبابه في بلادنا، فإن هذا اليوم يمثل انطلاقة مسيرة البناء، ويذكر المجتمع السعودي بالتحول التاريخي الذي انعكس على حياتهم وبدل خوفهم أمنا ووحدهم بعد شتات.

المهندس محمد عبدالرحمن الإدريسي، من مواليد مكة المكرمة وأول مهندس مدني في المملكة العربية السعودية يعود بذاكرته إلى الأيام التي عاصر فيها الملك المؤسس المغفور له عبدالعزيز آل سعود ليقول في ذكرى اليوم الوطني:

في هذا اليوم العظيم الذي صادف احتفاله هذا العام التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٤٢٦هـ، احتفلنا نحن السعوديين جميعًا، داخل المملكة وخارجها، بالذكرى الخامسة والسبعين لليوم الوطني الذي يمثل توحيد البلاد وبدء مسيرة التنمية على يد المؤسس الملك المغفور له عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. وصار هذا اليوم إجازة رسمية لأول مرة، للعاملين في القطاعين الحكومي والخاص كي يحتفلوا به ويستعيدوا ذكرياته التاريخية.

ومسيرة الملك عبدالعزيز طويلة وإنجازات صقر الجزيرة لا تحصى في شتى المجالات، ويكفيه أنه هو الذي مهد الطريق أمام أبنائه البررة من بعده لاستكمال المسيرة التي بدأها. وأستطيع القول إن حكم الملك المؤسس، يرحمه الله، وآل سعود جميعًا اتسم، من بين أمور عديدة، بتوفير عنصر الأمن والأمان الذي يعد ركيزة هامة ودعامة أساسية لتحقيق التنمية والنهضة والإنجازات، وبدونه لا يمكن تحقيق هذه الإنجازات التي نشاهدها اليوم في شتى أرجاء المملكة، بل ويعد عنصرًا هامًا أيضًا للاستثمار الذي يحتاج إلى الاستقرار والأمان، حتى بلغ الأمر بالباعة آنذاك أنهم كانو يتركون بضائعهم وأموالهم في الشارع لأداء الصلاة ثم يعودون فيجدون كل شيء في مكانه دون أن يطاله أحد، وأدعو الله العلي القدير أن يديم هذه النعمة على بلادنا لأهميتها البالغة في الحياة. ولذا كان الشق الأهم الذي حرص عليه جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - هو توفير الأمن والأمان، حتى أفاء الله على البلاد بالثروة البترولية ليعم الخير على الجميع ويشهد المواطن سعة في الرزق ورغدًا في العيش ويشعر بالحياة الكريمة اللائقة. فالحمد لله الذي وفق الملك عبدالعزيز وأبناءه البررة الكرام في استتباب الدين والأمن في هذا البلد.

وأحمد الله على وجود هذا النظام الحاكم الذي أعتبره أحسن نظام في العالم لارتباطه تمامًا بالدين، وهذا من فضل الله وتوفيقه لهم لأن رب العزة يقول: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾، فالبيت جعله الله مكانًا لالتقاء الناس وأمنًا لهم، وبهذا الشكل تعد بلادنا من أحسن البلاد أمنًا وأمانًا في العالم. ولما كانت مكة المكرمة تقع في وسط اليابسة وتشكل مركزًا للأرض ويتوفر فيها الأمن والأمان، فإن النظام الذي يحكم مكة يعد أحسن نظام في العالم، والله أسأل أن يوفق خادم الحرمين الشريفين في حكمه والدفاع عن الإسلام الذي أعز به هذا البلد.

إنجازات متسارعة

منذ أن أطلق المؤسس الراحل مسيرة التنمية في بلادنا وتابعها أبناؤه من بعده وهي تشهد إنجازات وبخطى متسارعة في شتى مناحي الحياة لمسايرة التطورات الحديثة، بل واللحاق بعصر التكنولوجيا الذي لايمكن أن نتخلف عنه. وفي هذا الصدد أذكر أن أرض الحرم عندما كنت أطوف حول الكعبة آنذاك كانت مليئة بالحجارة والحصى، أما اليوم فكيف حالها؟ لقد تغير حالها وشهد الحرمان الشريفان نهضة عمرانية هائلة وتوسعة ضخمة يشهد لهما القاصي والداني. فقد قيض الله لهذا البلد حكامًا أمناء عليها، وأولوا كل اهتمامهم لها ولأبنائها وأفاض عليها بالخيرات العميمة، مما جعلهم يسخرون كل إمكاناتهم لخدمتها ونهضتها والعمل على رقيها وتطورها. فما نراه الآن من تطور وتقدم في العمران وغيره من المجالات الأخرى في هذه الأماكن يعد دليلاً على البذل والعطاء الذي منحه حكام هذه البلاد لها عبر مختلف المراحل والسنين وشاهدًا لهم على مر التاريخ والعصور.

فعندما عدت من دراستي إلى مكة وأنا في الثانية والعشرين، وجدت تغيرًا كبيرًا وتقدمًا واضحًا شمل كل نواحي الحياة، حيث لم يكن يوجد في مكة سوى شارعين أو ثلاثة حول الحرم عندما كنت في الخامسة، أما عند عودتي فقد شاهدت الإنجازات والتوسعات التي شملت كل شيء. وعندما ذهبت للعمل في الرياض عام ١٣٨٧ لم يكن يوجد فيها سوى ٥ شوارع مرصوفة، وكان حي الملز هو «المنتزه» بالنسبة لساكنيها في ذلك الوقت، أما الآن فقد شهدت العاصمة اتساعًا ضخمًا ونهضة عمرانية تضارع أرقى الدول، ونراها الآن في أجمل حللها، بل وتشهد مدن العالم بجمال ونظافة مدينة الرياض ومدن المملكة عمومًا، مما يدل على اهتمام الدولة بأمور الوطن والمواطن والسعى لإسعاده.

انطلاق التنمية الحقيقة

ومن الجدير بالذكر أن التنمية الحقيقية التي بدأها الملك عبدالعزيز شهدت انطلاقة جبارة في عهد الملك فيصل في شتى المجالات، وانهمر الخير في عهد الملك خالد وتحسنت الأمور كثيرًا، ثم جاء الملك فهد الذي شهدت البلاد في عهده طفرة من الإنجازات الشاملة التي لا أستطيع حصرها لبناء دولة عصرية حديثة حتى وافته المنية ليتسلم الراية من بعده أخوه خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليسير على نفس النهج والخطى التي أرساها مؤسس هذه البلاد.